فصل فأما القسم الثاني من العدل وهو السياسة الاصطلاحية وان كان
اصلها على الجور فيقوم بها امر الدنيا تشاكل مراتب الانصاف على نحو ما كانت على
ملوك الطوايف في ايام الفرس وكانوا كفارا بالله يعبدون النيران ويتبعون هواجس
الشيطان فتواضعوا واستنوا لهم احكاما واقاموا مراتب في النصفة بين الرعايا
واستجبا الخراج وتوضيف المكوس على التجارات كل ذلك بعقولهم على وجوه ما
انزل الله بها من سلطان ولا نصب عليها برهان بيدانه لما جات الشريعة من
عند الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فمنها ما اقرته في نصابه ومنها ما صاحب المعجز محمد
نسخته وابطلت حكمه فعادت الحكمة البالغة الى امر الله تعالى والحكم بما انزل الله وبطل
ما سواه فكان ملكهم محفوظا برعايتهم للقوانين المالوفة فانقطع بذلك حبل
المهمل فكانوا يقيمون بها واجب الحقوق ويتعاطون بها ما لهم وعليهم وعن هذا كان
يقال ان السلطان الكافر الحافظ لشرايط السياسة الاصطلاحية ابقى واقوى من السلطان
المومن العدل في نفسه المضيع للسياسة النبوية العدلية والجور المرتب ابقا من العدل
المهمل اذ لا شي اصلح لامر السلطان من ترتيب الامور ولا شي افسد له من اهمالها واعلم
ان درهما يوخذ من الرعية على وجه الاهمال والخرق وان كان عدلا افسد لقوبها من عشرة
توخذ منها بسياسة على زمام معروف ورسم مالوف وان كان جورا فلا يقوم السلطان
لاهل الايمان ولا لاهل الكفر الا باقامة العدل النبوي او ما يشبه العدل من الترتيب
الاصطلاحي وقال ابن المقفع الملوك ثلثة ملك دين وملك حزم وملك هوا
فاما ملك الدين فانه اذا اقام لاهل المملكة دينهم كانوا راضين وكان الساخط
فيهم بمنزلة الراضي واما ملك الحزم فيقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والسخط
ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوي واما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار
دهر ولقد بلغنا ان ملكا من ملوك الهند نزل به صمم فاصبح مستوحشا مهتما
بامور المظلومين وانه لا يسمع استغاثتهم فامر مناديه ان لا يلبس احد في مملكته
ثوبا احمر الا مظلوم وقال لئن منعت سمعي لم امنع بصري فكان كل من ظلم لبس ثوبا احمرا

ووقف

ووقف تحت قصره فيكشف ظلامته وقال **الباجي** قال شيخنا اخبرني ابو العباس
الحجازي وكان ممن دخل الصين بسيرة غريبة عجيبة لملوكها في سياستهم وذلك ان
البيت الذي يكون فيه الملك ناقوسا موصولا بسلسلة وطرف السلسلة في خارج
الطريق وعليها امنا للسلطان وحفظه فياتي المظلوم فيحرك السلسلة فيسمع الملك
صوت الناقوس فيامر بادخال المظلوم فكل من حرك السلسلة تمسكه تلك الحفظة
حتى يدخل على السلطان **فصل** في ذكر بيان معرفة الاسباب التي فيها نظام
السلطنة والملك وبها تدوم الدول وقد وردت بها الشريعة فمنها اللين وخفض
الجناح للرعية واجتناب الفظاظة والمشاورة لاولي الالباب وارباب العقول
واهل العلم والاكابر وان لا يستعمل على الاعمال والولايات راغبا فيها ولا طالبا
لها لان الله تعالى علم ما فيها من انتظام الملك واستقامة الامور وامر الله ورسوله
بها وبينا ها لهم **اعلم** ايها المخاطب ان هذه الخصال هي ثلثة اثنتين انزلت في القران
والثالثة وردت بها السنة فهذه الخصال هي اس الملك والقليل من الملوك من يعمل
بها **فاما** التي نطق بها الكتاب فهي اثنتين **قال** الله تعالى فبما رحمة من الله لنت
لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاو رهم
في الامر وفي الاية الاخرى اشارات احدهما ان الفظاظة تنفر الاصحاب وتفرق الجموع
والحشم وانما يكون السلطان ملكا بجلسايه واصحابه وحشمه واتباعه واجلق
بخصلة تنفر الاوليا ان تطمع الاعدا فتهمز بكل سلطان رفضتها والاحتراز
من سوء مغبتها ولكن كما قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين.
وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع اصحابه فجا رجل فقال ايكم ابن عبد
المطلب فقالوا هذا الابيض المتكي فقال الرجل يا ابن عبد المطلب فقال النبي عليه السلام
قد اجبتك دل الاثر على انه ما استاثر بشرف المجلس فلا يا بيهم بزي ولا مقعد وقد يبلغ
باللين ما لا يبلغ بالغلظة الا ترى ان الرياح تهول اصواتها فتتداخل بها الشجر وتعطف
الافنان والاغصان وفي الفرط تكسر الاغصان والمايلسنه في اصول الشجر يقلعها

Copyright © King Saud University